بشرى للصائمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد ...

فلقد أهل هلال رمضان، وبدت أنواره فى ظلال السماء - تداعب قلوب المؤمنين، وتناجى خواطر الموحدين. وتدعوهم إلى رحاب الهدى والطاعة - أهل هلال رمضان : فيه من ضياء التقى إشراق - وفيه من صفاء المحبة لآلئ، طلع الهلال، وتجاوبت آفاق الكون بالصوت الحبيب، صوت الأذان والإيمان : (الله أكبر - الله أكبر - أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله).

وتطلع المسلمون نحو السماء يرقبون الهلال الوليد، ويتسمعون إلى الدعوة الخالدة يتردد صداها من وراء الزمان والمكان - لقد رأوا الهلال من قبل، ولقد سمعوا الآذان فلماذا تبدو الأضواء اليوم أنقى ؟ ولماذ يحلو وقع الأصوات فى آذانهم؟

إنها البشرى بالعيد السنوى، إن رمضان موسم طاعة، فيه الخير والبركة، وفيه الصحة والعافية، وفيه المودة والألفة، وفيه من ذكريات الجهاد والنصر أمجاد وأمجاد.

روى أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتاكم رمضان - شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه - تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم - وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم».

لماذ لا يفرح المؤمنون بهذا الشهر إذن؟ لماذ لا تكون طلعة الهلال بشرى، وصوت المؤذن بشرى؟ لقد فتحت أبواب السماء، وأغلقت أبواب الجحيم - لقد حل موعد الخير وآن أن تتنزل ملائكة السماء يقودها جبريل الأمين ، وأن تطوف بالأرض حاملة رسالة السلام حتى مطلع الفجر.

وفى رمضان بشرى بالغفران والرضوان - عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه - ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه - ومن قام ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه».

إن الصوم ربع الإيمان، فالرسول يقول « الصوم نصف الصبر» ويقول «الصبر نصف الإيمان» ورمضان على التاريخ كان على موعد مع الصبر والإيمان، التقى بهما عند ماء بدر، وكتب الله فيه للمؤمنين النصر ورمضان عبادة لله فى ليله ونهاره، وصدق الرسول العظيم : «كل عمل ابن آدم يضاعف - الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف » قال الله تعالى **(إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهواته وطعامه من أجلى - للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه)**.

هذه هى البشرى التى حملها لنا الهلال، وترددت مع الأذان - والسعيد فى هذا الشهر من لبى النداء، فصام نهاره، وقام ليله، وصان عن الهوى نفسه - والشقى فيه من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى هلم أيها المسلمون - هلموا إلى الريان فلقد قال صلى الله عليه وسلم «للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون».

ولقد قيل فى الآية الكريمة : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية** ﴾ «سورة الحاقة آيه ٢٤» هى أيام الصيام، وقيل فى الآية الكريمة : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾«سورة السجدة آيه ١٧» كان عملهم الصيام لأن الله يقول : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾«سورة الزمر آيه ١٠» ومن أحق بصفةالصبر من الصائم .

أيها المسلم :

هذى بشريات يحملها لنا هلال رمضان ، حقق الله آمالنا فيه، وجمع لنا الفرحتين : فرحة الفطر ، وفرحة اللقاء بالله، .

واتقوا الله - عباد الله - وتوبوا إليه - إنه تواب رحيم.

من حكم الصوم وأسراره

الحمد لله الذى خص شهر رمضان بالفضل على سائر الأيام وجعل صيامه أحد أركان الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام خير من صلى وصام وقام.

وبعد..

فلقد جرت سنة الله فى خلقه أن يهيئ لهم أسباب الرشاد، وأن ينير لهم سبل الهدى - وهم عباده، يشملهم برحمته، ويعمهم بفضله - أرسل لهم الرسل على فترات، وجدد الدعوة فى كتاب بعد كتاب وفرض عليهم ألوانا من الطاعة، وجعل لكل فريضة غاية، ولكل عبادة حكمة.

ولقد كتب الله على عباده الصيام فى أيام معدودة - ونريد اليوم أن نقف على بعض حكمه، ونعرض ألوانا من أسراره، وسندنا فى ذلك كتاب الله الكريم، وسنة رسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

ففى التنزيل الحكيم نقرأ الآيات البينات فنعرف من أسرار الصوم ما نستطيع، وتبقى هناك حكم وأسرار ستكشف عنها الأيام كلما تقدمت المعرفة بالإنسان.

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات** ﴾ «سورة البقرة الآيتان ١٨٣، ١٨٤»

ونحن إذا تأملنا بداية الآيات نجد هذا النداء الموجه من الله إلى (المؤمنين) من عباده (يأيها الذين آمنوا) فنفهم أن الإيمان سبب داع إلى هذه الفريضة، وكأن المؤمن وحده هو الجدير بهذا الشرف، وبهذه الدعوة إلى الصوم والعبادة لأن الصيام يهدف إلى غايات كثيرة تتجمع ثم تلتقى عند غاية كبرى هى (التقوى) - ولهذا يقول الله تبارك وتعالى تعليلا لهذا الأمر بالصيام (لعلكم تتقون) ولا يستطيع أن يحقق هذه الغايات، ولا أن يصل إلى التقوى إلا المؤمن الذى كمل إيمانه، وصدق يقينه، واستعد لأعباء هذه

الفريضة - ولقد أراد سبحانه وتعالى أن يعالج ما طبعت عليه النفوس البشرية من ميل إلى الشعور بما فى التكليف من مشقة فقال ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ «سورة البقرة آيه ١٨٣» فلستم يا أتباع محمد بدعاً بين الأمم، والله لم يخصكم بهذا التكليف، ولقد جعل للصوم أياما معدودة هى بلا شك فى مقدرة الإنسان العادى منكم - ولو أحس العبد بمشقة، أو حالت ظروفه دون الاستطاعة فإن الله يبيح له التأجيل، ويبيح له أن يستبدل بها مايطيق على تفصيل رقيق واضح قدمته بقية الآيات - وغاية هذا التفصيل والتشريع أن الله رؤوف رحيم وأنه كما قال فى هذه الآيات : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة** ﴾ «سورة البقرة آيه ١٨٥»- وقد عرفنا أن الله لا يكلف العبد إلا ما يطيق ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ «سورة البقرة آيه ٢٨٦».

بهذه الآيات صدر الحكم الإلهى، وتقررت الفريضة على كل مسلم قادر عاقل فى غير ما ضرر ولا أذى فلماذا صدر هذا الحكم؟ ولماذا كلفنا أداء هذه العبادة؟ ذلك ما نحاول أن نجيب عنه.

١ - الصوم (أيها المسلمون) وسيلة من وسائل التربية، وميدان واسع تصهر فيه النفوس البشرية تُهذّب، وتُنقى، ويُزال عنها ما تصيبها الأيام به من ضعف أو تخاذل لتخرج بعد ذلك صافية متماسكة، الصوم يكوّن العزيمة - ينمى الإرادة - يخلق ذاتية الفرد خلقا جديداً - أرأيتم إلى الذهب حين يكون ترابا بين التراب حتى إذا ما دخل النار صهرته وصفته وأخرجته لامعا صافيا نقيا؟ هكذا عزيمة المؤمن قد تصاب بشئ من الوهن أو الفتور، والله يريد لها أن تكون ماضية قوية نافذة، ونيران الصوم هى الوسيلة إلى ذلك - والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولعل المراد أن يكون قوى العزيمة ماضى الإرادة قبل أن يكون قوى الجسم، فإذا خرجت (أيها المسلم) من شهر الصوم وعزيمتك كما كانت فاعلم أن صومك غير كامل، وعد إلى إرادتك فزدها صقلا وصهرا حتى تصير كما أراد لك دينك مؤمنا كامل الإرادة قوى العزيمة هذه واحدة.

٢ - أما الثانية فهى أن الصيام صلة تربط العبد بربه - إن الصائم يتجه إلى الله وحده بهذه الطاعة، ويقصد بابه فى رغبة وانقياد - وهى العبادة الوحيدة الخالية من الرياء والسمعة، قد يصلى المسلم ويقصد المساجد ليقال إنه صالح عابد، وقد يخرج من أمواله ما يجعل ثناء الناس عليه حديث المجالس، وقد يحج إلى البيت الحرام لينال لقبا يرضيه أن يُعرف به بين الناس، وقد ، وقد - أما الصوم فسر بين العبد وربه، وفى الحديث القدسى (كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها) وهكذا يصبح جزاء الصائم عند الله بدون حدود.

٣ - وأما الثالثة فغاية ملائكية تجرد الإنسان من بهيميته، وترتفع به فوق المادية الجسدية - وكل عيوب الإنسان إنما تصدر عن هذه المادية، وما من خطيئة يرتكبها بشر إلا ومن ورائها نوازع الجسد ونوازع المادة. فإذا ماخلع المسلم عن نفسه ثياب المادة، وانصرف بصيامه وقيامه إلى عالم الروح بما فيه من صفاء ونقاء وجلال كان ملائكيا، وبدت شفافية روحه ضياء ينير وجهه وقلبه، وهذا أسمى ما يسعى إليه إنسان.

٤ - وأما الرابعة : فإحساس المؤمن بكل هذا، وشعوره بجلال النعمة الإلهية التى خصه بها الخالق حين فرض عليه الصيام - هذا المعنى العميق يظل فى وجدان الصائم طول يومه - إنه يعيش فى ظلال الإحساس بهذه الفريضة، ويحس بقدرته على كف نفسه، والسيطرة عليها، ويستشعر عمق الصلة التى ربطته بالله تبارك وتعالى، وينقسم ريحان الرضوان الإلهى - فإذا تجمعت هذه المعانى فى نفسه، ذاق حلاوة الطاعة، ووجد فى الجوع لذة، وفى الحرمان عطاء، وفى الظمأ ريا وسقيا فيكبر الله على ما هداه - واقرأوا معى قول الله ﴿ **ولتكبروا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون** ﴾«سورة البقرة آيه ١٨٥». ﴿ **إن الهدى هدى الله** ﴾«سورة آل عمران آيه ٧٣» ﴿ **من يهد الله فهو المهتد** ﴾«سورة الكهف آيه ١٧».

أخى فى الله .

هناك خامسة وسادسة وعشرات من حكم الصوم وأسراره، فتش عنها فى وجدانك، لكن تعال معى إلى غاية الصيام الكبرى التى تتجمع عندها هذه الحكم والأسرار - هذه الغاية هى (التقوى) كما قال الله تعالى ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم**

لعلكم تتقون ﴾«سورة البقرة آيه ١٨٣» - والصيام جُنة - والتقوى حفظ ووقاية - ولقد أعد الله تبارك وتعالى للمتقين مالا أصفه، إنما أترك الحديث عنه للمتفضل به ﴿ **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم : للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها، وأزواج مطهرة ، ورضوان من الله، والله بصير بالعباد، الذين يقولون : ربنا إننا آمنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وقنا عذاب النار، الصابرين، والصادقين، والقانتين، والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** ﴾ «سورة آل عمران آيات ١٥، ١٦، ١٧» وتأمل كيف يكون الصبر والصدق فى الصوم، وكيف يتحقق القنوت والإنفاق فى أيام الصوم- ثم كيف يقف العبد أمام ربه إذا ما جنه الليل، يسأله العفو والغفران، ليجمع إلى الصيام قياما - وهكذا يجمع بين الحسنيين : صيام النهار، وقيام الليل ، فطوبى للصائمين.

وتقبل الله منا ومنكم والله من وراء القصد.

obeikandl.com

رمضان شهر الغفران

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفوته من خيرة خلقه وحبيبه. الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد..

فقد أصيب المجتمع الإسلامى اليوم بمرض خطير، يهدم العقيدة، ويدمر الضمائر، ويدعو إلى التراخى والتسامح فى أداء الواجبات والفرائض الدينية - هذا المرض هو مرض الأمانى والأحلام». كثير من المسلمين يعيشون اليوم على هذه الأمانى، يقولون: «نحن نحسن الظن بالله، ونرجو رحمته» ثم يقفون عند حدود القول يجترون الأمانى، ويمضغون الأحلام، ولايتبعونها بعمل، ولا يقدمون سببا واحدا من أسباب الرجاء.

وتكثر هذه الأمانى فى رمضان - ترى الرجل منهم قد امتلأ قلبه بالاطمئنان، وانصرف إلى أهداف دنياه يرجو الخير وهو لم يفعل ما يستوجب الخير، فيصدق عليه قول القائل: ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليابس.

جلس إلى واحد من هؤلاء يجادل ويناقش، ويتلو آيات من كتاب الله، أو أجزاء من آيات دون أن يعرف الغاية منها، أو أن يتلو بقية الآيات: قال: يا أخى: إن الله غفور رحيم - وهو القائل ﴿ **نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم** ﴾«سورة الحجر آيه ٤٩» والقائل ﴿ **ورحمتى وسعت كل شئ** ﴾ «سورة الأعراف آيه ١٥٦» والقائل ﴿**غافر الذنب وقابل التوب** ﴾ «سورة غافر ٣» ونحن الآن فى شهر المغفرة، قد فتح الله فيه أبواب الجنة، وأغلق أبواب النار، وصفد الشياطين، وسيعمنا برحمته فهو الغفور الرحيم.

قلت يا أخى: ذكرت شيئا وغابت عنك أشياء.

مبدأ الغفران لا شك فيه، وأزيد على ما ذكرت أن الله يقول: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ «سورة النساء آيه ١١٦» لكن هذا المعنى يحتاج إلى توضيح - وأريدك أن تقرأ معى بقية الآيات التى أشرت إليها.

فالله حين قال : ﴿ **نبئ عبادى أني أنا الغفور الرحيم** ﴾ «سورة الحجر الآيات ٤٩، ٥٠» قال بعدها ﴿ **وأن عذابى هو العذاب الأليم** ﴾. وحين قال ﴿ **ورحمتى وسعت كل شئ** ﴾ أتبع ذلك بقوله ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون** ﴾«سورة الأعراف آيه ١٥٦»

وحين قال «غافر الذنب وقابل التوب» أتبعه بقوله : «شديد العقاب ذى الطول».

حقيقة الرحمة الإلهية لا شك فيها ولكنها لن تكون إلا للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، وبآيات الله يؤمنون - ومبدأ الغفران لا شك فيه، ولكنه لن يكون إلا لمن يستحق الغفران بعمله وعبادته، وتمسكه بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وإن شئت زيادة إيضاح فاقرأ معى قول الله تعالى : ﴿ **وإنى لغفار لمن تاب، وآمن، وعمل صالحا، ثم اهتدى** ﴾ «سورة طه آيه ٨٢» وسنرى أن الآية الكريمة تقرر الحقائق فى وضوح، وتقطع طريق الجدال والنقاش «الله غفار» هكذا تؤكد الآية بالكثير من أدوات التأكيد، وهى تسوق التعبير فى صورة المبالغة بكلمة «غفار» بدلا من كلمة «غافر» مثلا - ولكن : لمن هذه المغفرة؟ تضع الآية الكريمة أربعة شروط لا بد من اجتماعها حتى ينال العبد هذه المغفرة.

الشرط الأول هو التوبة - وهى الرجوع الصادق إلى الله بما فيه من ندم وحسرة. ومن عزم على عدم العودة، ومن التزام كامل بالفضائل، وإصرار على التكفير والتطهر حتى تكون توبة نصوحا تقرب العبد من ربه، وتجعله محبوبا من خالقه حتى يصدق عليه القول الحكيم ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾

الشرط الثانى : الإيمان هكذا وكأن الذنب قد خرج بالمؤمن عن عقيدته، سلبه شرف الإيمان، وهو مطالب بأن يعلن إيمانه القلبى من جديد حتى يستحق مغفرة الله.

الشرط الثالث : العمل الصالح لأن الإيمان عمل القلب وهو أمر يحتاج إلى تدعيم، فلا بد معه من عمل صالح تقوم به الجوارح فتنصب، وتتعب، وتبذل كل الجهد حتى تنال المغفرة - وهذا ما يوضحه الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه حين يقول :

«ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وإن قوما قالوا : نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا - لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

الشرط الرابع : الالتزام، ودوام الاتباع - ويوضح ذلك قوله تعالى: «ثم اهتدى» . قال بعض المفسرين ثم اهتدى - أى لزم الإسلام حتى يموت.

أرايت يا أخى المسلم لمن تكون المغفرة؟ إنها لمن تاب، وآمن وعمل صالحا - ثم اهتدى.

يا أخى الصائم - لقد فتحت أبواب الجنة فى رمضان ولكن لمن يستحق بعمله أن يدخل الجنة، فأقبل على الطاعة فى شهر الطاعة، واعمل للمغفرة تنل المغفرة، وكن عند حسن الظن بالله عملا لا قولا. وتذكر قول الله : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾«سورة هود آيه ١١٤»

إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.

والحمد لله أولا وآخراً.

obeikandl.com

رمضان شهر القرآن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

قال تعالى ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ «سورة البقرة آيه ١٨٥» القرآن هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم من عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم لا يشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا تزيغ به الأهواء ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.

وقال أحد المفكرين من رجال الغرب فى بحث له عن الإسلام : «سيظل هذا الدين عميق الجذور فى نفوس الملايين، ما بقيت فيه أمور ثلاثة - هى : القرآن ، والكعبة، وصلاة الجمعة فى كل أسبوع».

وليس فى هذا الكلام جديد ولا غريب علينا نحن المسلمين - وإنما نسوقه لنعرف ناحية من نواحى التفكير الغربى، ولنرى النتيجة التى انتهى إليها باحث «محايد يعتمد على العقل وحده فى تحليله، ولا يتهم بالخضوع لسيطرة وجدانية أو تأثير عاطفى موروث.

والقرآن - فى رأينا وفى رأيه وفى دلائل الحقائق - هو دعامة هذا الدين - وهو منارة للمسلمين : يهتدون بها فى بحر الحياة، منارة / لا يجف زيتها، ولا يخبو ضوؤها. وكلما ارتفعت منارات أخرى للعلم أو الفكر فى دنيا الناس - ظلت هى كما كانت : أنقى ضياء، وأصفى لآلئ، وأبهى إشراقا وسناء، وأقوى حجة ومضاء. ذلك - لأنها وحى الله لعباده، وهدية البارى لأصفيائه، نورها يهدى البصائر قبل الأبصار، ويرشد الأفئدة إلى حقائق الكون ومناهج الحياة، ويشفى القلوب من نزعات الشك، ونزغات الضلال. وصدق الله : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين - إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** ﴾ «سورة الإسراء آيه ٩»

والقرآن وثيق الصلة برمضان : فى لياليه تنزل من السماء - وفى لياليه رتله الأتقياء

الأنقياء - ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان** ﴾«سورة البقرة آيه ١٨٥».

والقرآن كتاب الله الخالد، وذكره الباقى ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد** ﴾ «سورة فصلت آيه ٤٢» أعجز البلغاء، وأفحم الأدعياء، وحقق فى كل زمان ومكان قول الله : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾«سورة الإسراء آيه ٨٨».

والقرآن معجزة الإسلام، ودستوره الدائم على الأيام، يقوى المسلمون وتزحف جيوشهم تحت رايات النصر، وفى أيديهم كتاب الله، وعلى ألسنتهم آياته البينات - ثم تتجمع عليهم الأمم، وتسقط قلاعهم، وتتراجع حدودهم فلا يجدون ما يحفظ عليهم كلمتهم سوى القرآن : - هو سندهم، وهو سلاحهم، وهو فكرهم ويقينهم، وهو جوهرهم ووجودهم - بدأ نزوله فى مكان شريف هو البلد الحرام، وفى زمن شريف هو شهر رمضان فاجتمع له شرف الزمان والمكان.

هذا القرآن يحتاج منا اليوم إلى فهم جديد :

يجب أن نعود إلى تعاليمه لنجعلها قانون حياتنا، ومصدر تشريعاتنا، فلا تخدعنا النظم البراقة، ولا تبهرنا النظريات المستحدثة.

يجب أن نصونه عن العبث، فلا نجعله أحجبة وتعاويذ وتمائم، ولا نجعله مجرد زينة فى المجالس والمحافل، ولا نكتفى بالاستماع إليه فى المواسم، ولانستجدى به العطاء على أبواب المساجد، فهذا والله امتهان لقداسة القرآن.

ولقد ظهرت اليوم بدعتان جديدتان :

الأولى : - بدعة قوم فتنوا بعلمهم الغرب فأقدموا على تفسير القرآن تفسيرًا يخضعه لنظريات العلم، وعجبا : العلم الحديث مجرد فروض تتغير كل يوم وتتبدل - فكيف نخضع لها كتاب هداية وعظة، أراد له رب الكون البقاء والخلود؟

والثانية : - بدعة قوم ادعوا حرية الفكر : وأقدموا على تفسير القرآن، دون سند روحى ، أو عمق لغوى، أو استعداد وجدانى وهو الكتاب المعجز ببلاغته ، الآسر بروحانيته، القاهر للبشر جميعا ببيانه.

وبعد فيا أخى الصائم..

نحن الآن فى شهر القرآن - وعلينا أن نعود إليه فنقرأه فى خشوع وخضوع، وفى أناة وفهم، وفى تدبر وتأمل، لنجعل منه قانون الحياة - علينا أن نعتصم به، وأن نخضع سلوكنا له كأفراد أولا، وأن نطبع حياتنا بمثله، وأن نربى نفوسنا تربية قائمة على مبادئه، فقد أخذتنا المحن والفتن من كل جانب - ولقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أتانى جبريل فقال : يا محمد، أمتك مختلفة بعدك. قال : فقلت له : فأين المخرج يا جبريل ؟ قال : فقال : فى كتاب الله ، به يقصم الله كل جبار، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك - مرتين - قول فصل، وليس بالهزل، لا تخلقه الألسن، ولاتفنى عجائبه - فيه نبأ ما كان قبلكم، وفصل ما بينكم وخبر ما هو كائن بعدكم» رواه الإمام أحمد

فإن نحن اعتصمنا اليوم بالقرآن وأخضعنا سلوكنا كأفراد له نكون فى صدق المجتمع القوى الذى يقيلنا من عثرتنا، ويعيد إلينا مجدنا، ويحفظ علينا تراثنا وترابنا وتاريخنا.

والله من وراء القصد.

obeikandl.com

القرآن فى رمضان

ونمضى - أيها المسلمون - مع آيات الصيام، نستروح معانى الرضوان، ونفئ فى ظلالها إلى روح وريحان : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون** ﴾ صدق الله العظيم - سورة البقرة آية ١٨٥.

لقد أراد الله لشهر رمضان أن يكون مصدر الخير والبركة والنعمة، فحقق فيه للمسلمين النصر - وخصه بليلة القدر - وأنزل فيه القرآن الكريم، معجزة الإسلام، ورسالة السماء، وكلمة الله إلى عباده المؤمنين. والقرآن : فرقان بين الحق والباطل، وكتاب عربى مبين، ودستور إلهى محكم، فيه نبأ من قبلنا، وفيه خبر من بعدنا، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، كتاب سمعه الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا، كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. كتاب كله رحمة ونور، وهدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان.

لقد نزل القرآن فى رمضان.

حقيقة لا شك فيها فالآية هنا تقول ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾«سورة البقرة آيه ١٨٥». وفى سورة الدخان يقول الحكيم العليم ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم** ﴾«سورة الدخان آيات ٣ : ٦». هذه الليلة المباركة هى ليلة القدر التى يقول الله تعالى فى شأنها : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ «سورة القدر».

أمام هذه النصوص، أجمع العلماء على أن القرآن قد نزل فى رمضان على معنى أنه أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا، ثم كان جبريل ينزل بالآيات على مدى إحدى وعشرين سنة كلما اقتضت إرادة الله شيئا من ذلك - أو على معنى أن بداية نزوله كانت فى ليلة القدر من رمضان و(القرآن) اسم

لكلام الله تعالى ، ومعنى الكلمة (المقروء) - يقال قرأ فلان قراءة وقرآنا - واللغة تؤيد هذا المعنى - قال الشاعر العربى : (ضحوا بأشحط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا). أى قراءة.

ومن هذا كله نصل إلى ما نريد : إذا كان رمضان شهر الصيام فهو أيضا شهر القرآن، وأكاد أؤمن بأن الذى يكتفى بما فى رمضان من صيام، ولا يتجه إلى القرآن (قراءة - أو دراسة - أو استماعا) إنما يشوب عمله نقص واضح، رمضان للصيام وللقرآن - وما أجمل لياليه حين يؤوب المصلون من المساجد، ويتجمعون فى ديارهم تلفهم السكينة، وتجمعهم المحبة، ويشملهم الأمن والسلام، وينصتون فى خشوع وتأمل إلى آيات الله تتلى عليهم - لكأنى بالملائكة تتنزل من السماء، وتطوف بهذه المجالس، وتستمع إلى الترتيل العذب يتردد فى سمع الليل الساجى وكأنه صوت السماء يتساقط على القلوب الظامئة قطرات من رحمة الله.

ولقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود - لا يهولهم حساب، ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس - رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل، وأم به قوماً وهم به راضون - ورجل أذن فى مسجد، ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله - ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة».

وقال أبو أمامه الباهلى : «اقرأوا القرآن - ولاتغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن».

وعن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن، فقرأ عليه : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾«سورة النحل آيه ٩٠». فقال له : أعد فأعاد - فقال : والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمورق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر.

هذه دلائل نشير بها إلى ما لقراءة القرآن من أثر فى تكوين المسلم، وإلى أن تلاوته عبادة، وإلى أن هذه العبادة تكون مفيدة محببة فى شهر رمضان - على أنه يجب على كل مسلم أن يعلم حقيقة دينية لا شك فيها هى أن لتلاوة القرآن آدابا - فالقارئ للقرآن

يجب أن يكون على طهارة ، وأن يتجه بتلاوته إلى الله فى رهبة وخشوع، وأن يقرأ فى أناة وتدبر وتأمل - أما الطهارة فلأن الله يقول : ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ «سورة الواقعة آيه ٧٩». وإذا كان ورق المصحف وظاهر جلدته يجب أن يصانا عن لمس اليد إلا إذا كانت طاهرة فكذلك باطن معناه يجب أن يحجب بحكم عزته وجلاله عن باطن القلب إلا إذا كان قلبا طاهرا - وأما التدبر والتأمل فلأن الله يقول : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾«سورة المزمل آيه ٤» والتدبر لا يكون إلا عند الترتيل، وعجيب أن هؤلاء الناس الذين يقرأون القرآن فيخطئون وينطقون بما لا يحسنون، وتنطلق ألسنتهم بالقول الحكيم وكأنه لغو من الحديث - كيف يجوز هذا وقد كانت الآية الواحدة تشغل الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة يكرر فيها ويعيد حتى تتشربها روحه، ويستوعب معناها وجدانه، ويتمتع قلبه بما فيها من معنى المعرفة - عن أبى ذر قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها وهى ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ «سورة المائدة آيه ١١٨».

وعلى المسلم أن يعمل بما فى القرآن حتى يكون أهلا لقراءته، وحتى لا يلعن نفسه - فقد قال أحد العلماء : «إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم، يقول : ألا لعنة الله على الظالمين، وهو ظالم نفسه، ويقول : ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم».

ومن آداب التلاوة أن تظل خاشعا متعظا فكيف بنا اليوم نجعل من القرآن غناء نقابله بالتصفيق أو التهليل ونسينا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ «سورة الأعراف آيه ٢٠٤».

واختيار الزمان والمكان لون من التكريم والإعزاز للقرآن - وما أجمله حين يقرأ فى وقت السحر وما أعذب وقعه فى القلوب حين يردده القارئون فى سمع الليل، وقد بدت تباشير الفجر فى ظلام الليل، لكأنى بالفلك يقف فيسمع ويخشع، ولكأنى بالكائنات تصغى لهؤلاء المصلين القارئين فتهتز وتستكين ثم تنعطف فى إجلال وإكبار وتقديس.

وصدق الله حين صور قراءة القرآن فى صلاة الفجر فقال : ﴿ **وقرآن الفجر - إن قرآن الفجر كان مشهودا ، ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾«سورة الإسراء الآيتان ٧٨، ٧٩».

القرآن معجزة الإسلام

وفى قوله بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾«سورة الإسراء آيه ٨٨».

هذه آية من كتاب الله، تحدت الإنس والجن، وأثبتت بهذا التحدى أن القرآن هو آية الله الخالدة، ومعجزته الباقية - ولقد عاش المسلمون فى ظلاله منذ بدأت الدعوة إلى اليوم، فكان لهم نورا ورحمة، وكان لهم سندا وقوة، وكان لهم مددا من السماء - حفظ عليهم وحدتهم، وجمع على الحق كلمتهم - ونصرهم حين خذلتهم القوة - ومكن لهم فى الأرض حين تجمعت عليهم الأمم ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾«سورة الإسراء آيه ٨٢».

ولقد نسأل : لماذا كان القرآن معجزة الإسلام؟ - وكانت عصى موسى ثعبانا يلقف ما صنع الساحرون، وصنع عيسى من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فكان طيرا بإذن الله - هكذا كانت معجزات الرسل قبل محمد - فلما جاء محمد كانت معجزته كلاما يتلى، وآيات تتنزل من حول العرش؟

يا أخى الكريم : كان القرآن معجزة الإسلام لأمور نحاول توضيحها فى إيجاز ونذكر منها ثلاثة أسباب :

الأول : أن البشرية كانت قبل محمد فى عهد الطفولة الفكرية ، لا تستطيع أن تصدق بالرسل إلا عن طريق الحس - كالطفل الصغير لا يدرك حقائق الأشياء إلا عن طريق الحواس - ولقد كان الناس يظنون أن النبوة هى استطلاع الغيب، وكشف الأسرار، واتصال بما وراء الكون والحياة، ارتبطت فى أذهانهم بالطلاسم والطقوس - فلما جاء الإسلام كان بداية عهد الرشد والفهم عهد النضج العقلى - ولهذا كثرت فى القرآن الكريم الدعوة إلى التأمل والنظر، وإلى استخدام العقل ﴿ **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض** ﴾«سورة يونس آيه ١٠١». ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** ﴾«سورة آل عمران آيه ١٩٠» - وبهذا نقول بكل الثقة : إن القرآن وضع حداً بين عهدين، ورفع البشرية إلى مستوى رفيع من الفهم والإدراك.

الثانى : أن الله أراد أن يعلمنا عن طريق القرآن ضرورة استخدام العقل والفكر، والاعتماد فى الحياة على البحث والتأمل - وبهذا نحقق النجاح فى كل أمورنا.

لقد فصل الإسلام بين الإيمان وبين المعجزة الحسية، ولم يجعل الأمر الخارق للعادة هو موضع الدليل، أو سبيل الإقناع. ووصل بالمسلم إلى درجة عالية من السمو الفكرى يعرف فيها أن كمال الإيمان يتم باعتماده على البحث والدراسة والتفكير - وأن واجب الإنسان فى حياته العادية أن يستخدم عقله لا عواطفه - وأن ينتفع بالعقل فى الكشف عن أسرار الكون وحقائق الوجود. ومن العجيب أن هذا الأسلوب العلمى هو ماينقص المسلمين اليوم. غيرهم يعتمد على التفكير العلمى، ويجعل التجربة والملاحظة وسيلة للمعرفة - وهم قانعون بالحسرة والألم والبكاء على التخلف. إن القرآن يعلمنا كيف نبحث ونفكر - ويدعونا إلى استخدام العقل والعلم - ولو استجبنا لدعوة القرآن الكريم لكنا اليوم حيث أراد لنا الإسلام - دين الفكر والعقل والعلم والتخطيط.

وثالث الأسباب : أن المعجزة الحسية تكون دائما معجزة مؤقتة، تنتهى بوقتها، ولا يتأثر بها إلا من شاهدها . فهى بنت زمانها ومكانها - وأثرها محدود فى عدد قليل من الناس، وربما كان هذا مقبولا فى الرسالات السابقة على الإسلام - لأنها كانت رسالات محدودة ولأن الرسول فيها بعث لقوم معينين - فى زمان معين، ومكان معين.

أما دعوة محمد فدعوة عامة - أما رسالة الإسلام فدائمة باقية - ولهذا وجب أن تكون معجزته دائمة باقية - ولهذا نزل القرآن الكريم فكان المعجزة - ومضى مع الزمن وهو المعجزة وسيبقى إلى أن يشاء الله معجزة - وكلما ارتقى العقل البشرى زادت قيمة الإعجاز فى القرآن ، وظهرت الأسرار التى أودعها الله فى هذا الكتاب العظيم.

وأثر القرآن الخالد يمتد على مجالين واسعين :

مجال المسلمين - وهو فى دنياهم - نور ورحمة ينير لهم الطريق كلما تكاثفت عليهم ظلمات المحن.

ومجال غير المسلمين - وهو فى دنياهم - دعوة حرة، وعلامة فكرية واضحة ، هو صوت الحق ، يستمع الناس إلى آياته فتجذب منهم الأذهان والأفهام، ثم تملأ الجوانح والقلوب، ثم تملك المشاعر والأحاسيس.

إنها قطرات من ندى الرحمة الإلهية - تتنزل على القلوب المحرومة فترويها وتشبعها.

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** ﴾«سورة الإسراء آيه ٩».

كيف نقرأ القرآن

اختار الله لوحيه المنزل على محمد أسماء جديدة لم يعرفها العرب من قبل :

فهو الكتاب - ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾«سورة البقرة آيه ٢».

وهو الفرقان - ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾«سورة الفرقان آيه ١».

وهو الذكر - ﴿ **وهذا ذكر مبارك أنزلناه** ﴾ «سورة الأنبياء آيه ٥٠».

وهو التنزيل - ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين** ﴾ «سورة الشعراء آيه ١٩٢».

وهو القرآن - ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** ﴾ «سورة الإسراء آيه ٩».

والقرآن هو أشهر هذه الأسماء، سمى به الكتاب الكريم لأنه يقرأ ويتلى، وهو مصدر مشتق من (قرأ) بمعنى (تلا) وهو مرادف لمعنى (قراءة) وعليه جاء قول الله تعالى : ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ «سورة القيامة آيه ١٧، ١٨».

وهذه التسمية تدل على قيمة القراءة، وعلى أثرها وأهميتها بالنسبة لهذا الكتاب المقدس. إن من واجب المسلم أن يقرأ القرآن، وأن تكون قراءته له على صورة خاصة، وعلى هيئة لا يقرأ بها غيره، ومن واجب المسلم أيضا أن يعرف هذه الهيئة، وأن يطلبها من مصادرها الصحيحة، من القرآن نفسه، ومن الحديث النبوى الشريف.

أما فى القرآن فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ «سورة المزمل آيه٤». والترتيل هو القراءة على تمهل وأناة، وعلى تدبر وتفكير ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن - ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ «سورة النساء آيه ٨٢». ويستحب مع الترتيل تحسين الصوت وترقيقه كما جاء فى الحديث : «زينوا القرآن بأصواتكم» وروى عن ابن مسعود أنه قال : «لا تنثروه نثر الرمل، ولاتهذوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة» وهذا توضيح لخصائص الترتيل القرآنى، إنه ترتيل ينسق الكلام ولا يبعثره، ينغمه ولا يقطعه تقطيع الشعر، يمده فى حلاوة ونداوة وعذوبة.

وأما فى الحديث الشريف فقد روى البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «كانت مداً . ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد (بسم

الله)، ويمد (الرحمن) ويمد (الرحيم) - وعن أم سلمة رضى الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله رب العالمين - الرحمن الرحيم - مالك يوم الدين). وقالت عائشة رضى الله عنها (كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها) - وهذا كله يوضح لنا معنى الترتيل- فهو الهدوء والأناة، وهو التدبر والتأمل - وهو رقة الصوت وحسنه.

هذه هى الصورة الصحيحة لقراءة القرآن - صورة الترتيل الندى العذب، والتلاوة الهادئة الواعية، تعلمها محمد من ربه وكان من قبل يسرع إلى أخذ القرآن من الملك، وكان يسابق الملك حين ينزل عليه الوحى حرصا منه على حفظ القرآن وجمعه. ولكن الله علمه أن يتأنى، وأن يأخذ القرآن فى هدوء : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه** ﴾«سورة القيامة آيات ١٦، ر١٧، ١٨، ١٩».

وتعلم محمد - تعلم ألا يعجل عند أخذ القرآن ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب زدنى علما** ﴾ «سورة طه آيه ١١٤».

وتعلم أن الله قد تكفل بجمعه وحفظه فى صدره، وتيسير قراءته وتلاوته ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾«سورة القيامة آيه ١٧». وتعلم أن الله قد ضمن له بعد الجمع والتلاوة توضيح المعنى ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾«سورة القيامة آيه ١٩».

وليس من حلاوة الصوت هذا التنغيم الذى يصل إلى الطرب، ويخرج بالسامع عن وقاره، ويجعل الصورة غناء بعيدا عن الجلال والوقار.

يجب أن نقرأ القرآن قراءة رقيقة ضارعة باكية - فيها رهبة وخشوع، وفيها نجوى ودعاء، وفيها اتصال كامل بالمعانى، وفيها تقديس كامل لخالق هذه المعانى، وما أحلى القراءة حين تتردد فى جوف الليل من قلب مؤمن صادق، فتنير المظلم من الليل، وتصل العبد بالرب، وتستجيب لقول الله.

﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ، وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا ، ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾«سورة الإسراء الآيتان ٧٨، ٧٩».

كيف نستمع إلى القرآن ؟

«عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اقرأ على» فقلت : يارسول الله - أأقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال : «نعم - إنى أحب أن أسمعه من غيرى». فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾«سورة النساء آيه٤١». فقال : «حسبك الآن» - فإذا عيناه تذرفان.

هذا حديث شريف فيه كثير من المعانى والفضائل، ولكنى أكتفى منها بمعنى واحد هو كيفية الاستماع للقرآن، والاستجابة لما فيه من روحانية وهداية.

النبى صلوات الله وسلامه عليه كان يعلم أصحابه، ويقرأ عليهم القرآن، لكنه كان أيضا يحب أن يستمع إليه من غيره، ومن هنا نعرف أن للقراءة أثرها، وأن للاستماع فوائده. وأن على المسلم أن يجمع بين الأمرين حتى يكون اتصاله بالقرآن أعمق وأشمل.

ولقد استمع محمد صلى الله عليه وسلم إلى ابن مسعود وهو يقرأ، فلما وصل إلى قول الله ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنابك على هؤلاء شهيدا** ﴾ «سورة النساء آيه٤١». بكى، لأن الآيات خاطبت وجدانه، وهزت كيانه، وملأت لبه وفؤاده، وأثارت مشاعر التقديس لله ولكتابه فى كل جارحة من جوارحه - ولأنه صلوات الله عليه تذكر المسؤولية الكبيرة التى تحملها، فهو شهيد على أمته يوم القيامة، من كان فى زمانه، ومن جاء بعده وبلغته دعوته، ولهذا جاء فى بعض الروايات أنه قال صلى الله عليه وسلم - فيما معناه - بعد أن سمع هذه الآيات «شهيد عليهم ما دمت فيهم، فإذا توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم».

وفى المعنى نفسه روى الإمام أحمد والبخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «يأيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ، ثم قرأ « كما بدأنا أول خلق نعيده، وعداً علينا إنا كنا فاعلين» ثم قال : «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم - ألا وإنه يجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول : يارب - أصحابى - فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك - فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ **وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شئ شهيد** ﴾ .

والبكاء عند الاستماع للقرآن صفة من صفات المؤمنين الصادقين، والأبرار المتقين

﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء** ﴾ «سورة الزمر آيه٢٣».

إنهم يسمعون كلام الله فتقشعر جلودهم لما فيه من الوعد والوعيد، ومن التخويف والتهديد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لأنهم يرجون رحمة الله ولطفه - يسمعون الكلمات، ويفهمون ما وراءها من غايات فيزداد إيمانهم ويكتمل يقينهم ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، وعلى ربهم يتوكلون** ﴾«سورة الأنفال آيه٢».

أين نحن الآن من هذه المعانى؟ إننا نسمع إلى القرآن فنهتز للأنغام، ونطرب للألحان، أو نتلهى بالحديث الهامس متظاهرين بالكبرياء والانصراف عن القارئ - وبعضنا يتمادى في غيه وينساق وراء جهله فيسخر من القارئ، ويتظاهر بالعظمة والترفُّع عن التأثر والاستجابة للمعانى، وما كان صلى الله عليه وسلم يخجل من إظهار تأثره - بل كان يبكى حتى يرى الناس دموعه، ولقد جاء فى بعض الروايات أنه ضرب يديه بجنبيه من شدة التأثر.

إن الذى ينصرف عن القرآن، ويستكبر عن التأثر بمعانيه يصدق عليه قول الله تعالى : ﴿ **وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها، كأن فى أذنيه وقرا، فبشره بعذاب أليم** ﴾«سورة لقمان آيه٧».

فلنتعلم يا أخى من الرسول، ولْنقف عند المعانى حتى تتشربها قلوبنا - فهذه هى صفات الأنبياء جميعا صلوات الله وسلامه عليهم.

وصدق الله حين وصف إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس فى سورة مريم، حين قال : ﴿ **أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين، من ذرية آدم، وممن حملنا مع نوح، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل، وممن هدينا واجتبينا، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً** ﴾«سورة مريم آيه٥٨».

والله أسأل أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

دعاء الصائم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وبعد..

فثمة علاقة قوية بين الصيام والدعاء فَدُرَّةُ الدعاء هذه الآية وهى قوله تعالى ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾«سورة البقرة آيه ١٨٦».

نعود مرة ثالثة إلى آيات الصيام، نستشف منها أنداء الرحمة، ونرى صورة القرب الإلهى يدنو ويدنو من عباد الله، ثم يضمهم جميعا إلى رحابه، ويؤوبهم إلى جنابه - ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

يقول عز من قائل : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لى، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾«سورة البقرة آيه ١٨٦».

وهكذا بين آيات الصيام وأحكامه نقرأ هذه الكلمات الربانية التى سبقت على هذه الصورة تطمينا للنفوس، ثم نقف أمامها وقفة تأمل وتدبر وعظة :

أى عباد هؤلاء الذين خصهم الله بقربه؟ إن موضوع الحديث فى الآيات هو الصيام، فالعباد المقصودون هنا إذن هم الصائمون، والصائم إذن قريب من رحمة الله، مستجاب الدعاء، مقبول الرجاء.

ونحن لا ننسى القاعدة الأصولية التى تقول : إن العبرة بعموم اللفظ فكل عبد يتجه بالدعاء إلى ربه صائما كان أو غير صائم إنما هو عبد من عبيد الله تتناوله الآية بالقرب والرحمة، لكننا مع ذلك لا ننسى أن الدعاء مع الطاعة يكون أقوى فى تحقيق القرب، وأدل على شمول الرحمة.

وتأمل معى - أيها الأخ الكريم - هذه الكلمة (عبادى) فالله تعالى يقول : هم عبادى أنا - فهم لى وأنا لهم، كيف أحجبهم عن نفسى؟ وكيف أبتعد عنهم وقد أقبلوا على طاعتى، وزادت صلتهم بى، وتغلبوا على شهواتهم ونوازعهم المادية فأصبحوا من

الشفافية والطهر بحيث ينسبون إلى . فهم عبادى وأنا ربهم؟ أى تشريف هذا للصائمين؟ وأى تعظيم؟ وأى دعوة قوية إلى الصيام هذه الدعوة؟ إن الله تبارك وتعالى يضم الصائمين إلى رحابه، ويجعلهم من خلصائه وأحبابه ولهذا فهو قريب منهم إذا سألوا عنه.

ثم تأمل - إن السؤال لمحمد ﴿ **وإذا سألك عبادى** ﴾ وكان الترتيب المنطقى أن يكون الجواب، إذا سألوك يا محمد فقل لهم إن الله قريب منكم. ولكن البلاغة القرآنية أرادت أن تزيدهم كرامة فلم يترك الله الإجابة لرسوله، ولم يجعل الخطاب منه لمحمد بل تولى هو الإجابة بنفسه عليهم فقال (إنى قريب) وهذا هو معنى زيادة التشريف والتكريم ومن بلاغة القرآن أنه لم يغفل (تأكيد) هذا المعنى فجاء بأداة التأكيد القاطعة فى معناها وهى (إن) على ما جرت عليه أصول البلاغة القرآنية العالية، وزاد فأظهر فى مقام الإضمار حيث قال (دعوة الداع) ولم يقل دعوتهم تدليلا على أثر الدعاء، وتوضيحا لقيمته.

ثم تأتى كلمة ﴿ **قريب** ﴾ - إن فيها لسراً ، وما أكثر أسرار القرآن، إن مقتضى السياق أن يقال لمن يسأل عن شئ، إنه موجود - وظاهر ذلك أن تكون الآية على هذا التعبير ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى موجود** ﴾ لكن صفة (الوجود) لا تعطى معنى العطف والرعاية، وهما المقصودان فى هذه الآية، فالله موجود لكل كائن، وموجود لكل عبد آمن به أو لم يؤمن - أما صفة القرب فلا تكون إلا لمن رضى الله عنه، وخصه بنعيم عنايته، وكريم رعايته، ولذة حمايته.

وللقرب هنا معناه الخاص فهو ليس قرب مكان ولا زمان - تعالى الله عن المكان والزمان - والمعنى المقصود هو قرب الرحمة وسرعة الاستجابة ألا ترى إلى قوله بعد ذلك مباشرة ﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ وكأن الآية الكريمة توضح بذلك معنى القرب، وتطمئن المؤمن الصائم إذا اتجه إلى الله وسأله العون والمغفرة. لكن قرب الله من عبده الداعى، والاستجابة للدعاء مشروطة بأن يستجيب المؤمن لله، وأن يكون كامل الإيمان - ﴿ **فليستجيبوا لى، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾. والرشاد هو نهاية أمرهم، وما أعظمه من نهاية، لقد مضت هذه الآية العذبة الندية الحانية - تسقى برضوانها قلوب

المؤمنين، وتتنزل عليها كما يتنزل الماء الصافى على حبات الرمل أحرقها اللهيب، ثم تنبت ثمرها شهيا جنيا موصول العطاء.

والقرآن الكريم صفّى بهذه الفكرة، حريص على دعوة المسلمين إلى ربهم - وهو يجدد هذه الدعوة فى كل مجال، ويسوق معها ألوانا من الترغيب والتحبيب - يقول الله تبارك وتعالى ﴿ **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** ﴾. ويقول : ﴿ **له دعوة الحق، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشى** ﴾«سورة الرعد آيه ١٤» ويقول : ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ «سورة غافر آيه ٦٠» ويقول ﴿ **قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن - أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى** ﴾«سورة الإسراء آيه ١١٠».

فالله سبحانه وتعالى يطلب منا فى صور شتى أن نتجه إليه بالدعاء والله تعالى يفرح بعبده حين يقصد بابه، طالبا عونه، راجيا مغفرته، لأن الدعاء من أكمل صور العبادة، فالداعى عابد قانت خاشع، يستشعر جلال الله، ويحس عظمته، ويتمثل كماله وقدرته - ويقف منه موقف الذليل المعترف بربوبيته وجلاله - وليس هناك من صور العبادة ما هو أكمل من ذلك.

والذى يمتنع عن عبادة الله، ويرفض اللجوء إليه تكبرا وخيلاء - مأواه جهنم لأنه يعطى نفسه مكانة فوق مكانة العبد، ويضع نفسه فى غير موضعها، ويجعل لله شركاء يقصدهم أو يرجوهم، وبهذا يصبح من الكافرين، ويصاب بالصغار والهوان حين يدخل جهنم راغماً ذليلاً.

ومقام العبودية ليس مقام هوان - وليس فى الاعتراف بعظمة الخالق ذل للمخلوق - إنما هو وضع الأشياء حيث يجب أن توضع، ومقاييس البشر فيما يسمونه عزة وكرامة أبعد من أن تصور الصلة الصحيحة بين العبد وربه.

والدعاء لا يكون إلا لله ﴿ **والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ ، إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وما هو ببالغه** ﴾«سورة الرعد آيه ١٤» وللعبد أن يدعو ربه بما شاء من أسماء فهو الله، وهو الرحمن وهو الرحيم ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾«سورة الأعراف آيه ١٨٠».

وإذا دعوت ربك فاعلم أنك تدعو سميعا، فأخلص النية، وهيئ الفرصة، وأعد العدة، ﴿ **فادعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ «سورة غافر آيه ١٤»- ولا تتعجل نتيجة الدعاء ففى الحديث الشريف «إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث : إما ذنب يغفر له، وإما خير يعجل له ، وإما خير يدخر له». وفى رواية أخرى «إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخر له فى الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها» ولا تجعل بينك وبين الله حاجبا بالعصيان، فإن العبد المذنب يقول يارب يارب ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وقد غذى بالحرام - فأنى يستجاب له.

والرسول الأمين يقول : «إن ربكم حيى كريم يستحى من عبيده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها صفرًا» فارفعوا أيديكم بالدعاء، واسألوه من رحمته : أن يستر عيبنا، وأن يجبر كسرنا، وأن يحفظ لنا ديننا، وأن يجعلنا من عباده الذين قال فيهم : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعو ة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾«سورة البقرة آيه ١٨٦»

وأسأل الله لى ولكم الهداية والعافية والتوفيق.

توبة الصائم

الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل والله أكبر كبيراً، وصلاة وسلاماً على من أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيرًا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً.

ففى القرآن الكريم آية لا يملك القلب أمام معناها العميق إلا أن يسجد لله شاكراً فضله، مقدساً جلاله، راضيا مطمئنا إلى غفرانه ورحمته - هذه الآية الكريمة هى قوله تعالى ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم - قل يا عبادى الذى أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ «سورة الزمر آيه ٥٣» فالخالق العظيم يدعو عباده الذين تجاوزوا الحدود فى المعصية، وأسرفوا على أنفسهم إلى عدم اليأس من رحمته - ويسوق هذه الدعوة فى صورة من التلطف، ثم يقدم منته العظمى التى تشمل كل شئ حين يقول ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾، ثم يؤكد المعنى بقوله إنه هو وحده الغفور الذى يغفر ذنوب عباده، الرحيم الذى يرحم الطائعين والعاصين معا. سبحانه وتعالى.

الأخ المسلم :

إن الرحمة دليل المقدرة، وقدرة الله تشمل كل شئ فى كونه، ولهذا وسعت رحمته كل شئ ﴿ **ورحمتى وسعت كل شئ** ﴾«سورة الأعراف آيه ١٥٦».

ولقد عشنا فى شهر رمضان أياما راضية، ذقنا فيها لذة الطاعة، وعرفنا أن باب الله مفتوح لكل طارق، وما أحوجنا إلى أن نلبى دعوة الغفران، وأن نسرع إلى باب الرضوان - وإذا كان شهر الصوم وسيلة لتربية الروح والبدن، وفرصة للقيام والدعاء وقراءة القرآن فإنه أيضا فرصتنا التى يجب أن ننتهزها لننال مغفرة الله - ومغفرة الله لا تأتى هكذا عفوا بدون تعب، فهو سبحانه يقول بعد هذه الآية الداعية إلى عدم اليأس ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾ «سورة الزمر آيه ٥٤» فالرجوع إلى الله، وإسلام القلب له، والعودة إلى طاعته شرط أساسى فى

غفران الذنوب - والتوبة لا تقبل من العبد إلا إذا صحبها عزم ثابت أكيد على عدم العودة إلى الذنب، وصحبها أيضا عمل صالح يدعها ويسندها ، ويكون معها شفيعا للعبد عند الله - ولذلك يقول الله تبارك وتعالى ﴿**إلا من تاب وآمن، وعمل عملا صالحا، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفورا رحيما - ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا**﴾ «سورة الفرقان الآيتان ٧٠، ٧١» فالعمل الصالح شرط لقبول التوبة - ومن هنا كان قولنا إن رمضان بما فيه من طاعة وعبادة وبما فيه من صيام وقيام وزكاة وقرآن وصبر - رمضان هذا عمل صالح نقدمه مع التوبة لتكون على رجاء من قبول الله سبحانه وتعالى.

ولا عجب فالله عز وجل يقول فى آية أخرى ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**﴾«سورة آل عمران آيه ١٣٥» فالتوبة لا تكون إلا إذا ذكر العبد ربه، وللذكر هنا معانيه التى تحمل صورة الندم والخوف مقرونة بطلب الغفران مع العزم على عدم العودة إلى الذنب - ثم أرأيت - أيها الأخ المسلم إلى الذنب العظيم يصير فاحشة، ويصير ظلما للنفس، ثم يقابل بالصفح والغفران، وينتهى بهذا الاستفهام الرائع القاطع فى معناه، معنى الصفح والعفو والغفران، نعم يارب، من يغفر الذنوب غيرك؟ لا أحد أنت وحدك القادر على ذلك، وأنت وحدك الذى جعلت استغفار العبد صلاة فى محراب طاعتك، واعترافاً بجلال ربوبيتك، وأنت وحدك الذى قبلته بعد المعصية لينعم فى رياض جنتك.

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « فى كتاب الله عز وجل آيتان. ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له :

الأولى : قوله تعالى : ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله**﴾ «سورة آل عمران آيه ١٣٥».

والثانية : قوله تعالى ﴿**ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**﴾«سورة النساء آيه ١١٠».

ومن عظيم فضل الله تعالى أنه جل شأنه لا يكتفى بالمغفرة فيمحو الذنب ، ويزيل المعصية - بل يضيف إلى ذلك ما هو جدير بفضله وكرمه - يضيف الرحمة والثواب لعبده نظير تذكره لجلاله، ورجوعه عن عصيانه، والعبد فى الدنيا لو ارتكب ذنبا، وندم على ما فعل، وقدم الاعتذار الكافى والعمل الصالح فإن ذلك لا يعفيه فى القانون الوضعى من العقاب - وحتى لو جدت ظروف وأسباب تساعد على العفو لكان منتهى أمله أن يقال له اذهب فأنت طليق، أما أن يضاف إلى ذلك ثواب وخير ففضل لا يتسع له إلا عفو الله أرحم الراحمين.

وكثير من آيات الكتاب الكريم تؤيد هذا المعنى - يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره. إنه كان توابا** ﴾«سورة النصر آيه ٣» - ويقول ﴿ **إن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين** ﴾ «سورة البقرة آيه ٢٢٢» ويقول فيصف نفسه بالرحمة ﴿ **حم - تنزيل من الرحمن الرحيم** ﴾«سورة فصلت آيه ٢» وفى فاتحة الكتاب يؤكد هذه الصفة ﴿ **الحمد لله رب العالمين - الرحمن الرحيم** ﴾ «سورة الفاتحة آيه ٢ ، ٣» وفى القرآن الكريم سورة كاملة تسمى سورة (غافر) وفى أولها يقول سبحانه ﴿ **غافر الذنب ، وقابل التوب** ﴾ لكنه يقول أيضا ﴿ **شديد العقاب ذى الطول** ﴾ غير أننا نلاحظ أن مغفرته سبقت عقابه، ولهذا أعد طائفة من ملائكته المقربين كل مهمتهم بعد تسبيح الله والإيمان به أن يستغفروا للمؤمنين المذنبين، قال تعالى : ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا - ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا ، واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ، ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ «سورة غافر آيه ٧، ٨»

ولعلنا نلاحظ هنا أن الملائكة يقولون : فاغفر للذين تابوا ، واتبعوا سبيلك - فالمغفرة لا تكون إلا لمن تاب، وسلك سبيل الهدى، وطريق الرشاد - بل إن الدعوة لتتجه إلى الله أن يشمل برحمته الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم - دليلا على اتساع فضل الله ، وعميم رحمته.

وإذا كان رمضان موسما للطاعة فإن علينا أن نتخير الوقت الملائم لهذه الطاعة، والوقت الملائم لطلب المغفرة من الله - وأكرم الأوقات عند الله هو وقت السحر - قال

تعالى ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾«سورة آل عمران آيه ١٧». فى الليل تنام العيون، وتهدأ الكائنات، لكن عيون الظامئين إلى رحمة الله لا تنام، وقلوبهم لا تهدأ، وجنوبهم لا تستقر ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا** ﴾ «سورة السجدة آيه ١٦» ولقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يبين لنا قيمة الاستغفار فقال : «إنى لأستغفر الله تعالى ، وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة» مع أن الله سبحانه وتعالى قد غفر له ذنوبه فقال : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ «سورة الفتح الآيتان ١ ، ٢» لكنه جمال الطاعة، ولذة المناجاة، وندى الرحمة الإلهية يروى قلبه حين يرجع إلى ربه فيذكره، ويستغفره فى ليله ونهاره، وهكذا كان عباد الله الصالحين دائما ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين** ﴾«سورة الأنبياء الآيتان ٨٧، ٨٨».

هكذا كان شأن الأنبياء والصالحين مع ربهم - وهكذا تتنزل رحمة الله على عباده - وليست الفكرة أن تقدم على الذنب، ثم تستغفر، وليس الهدف أن تفرط فى جنب الله ثم تطرق بابه - ولكن الهدف أن تكون عبدا طائعا حتى إذا هفوت، أو زلت بك القدم على غير إرادة لجأت إلى ربك وكنت كمحمد صلى الله عليه وسلم الذى علمنا كيف نتوب حين كان يقول : «اللهم اغفر لى خطيئتى، وجهلى، وإسرافى فى أمرى، وما أنت أعلم به منى - اللهم اغفر لى هزلى - وجدى، وخطأى وعمدى - اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به منى - أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شئ قدير» وصدق رسول الله.

وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

والحمد لله رب العالمين.

بعد رمضان

الحمد لله رب العالمين، له الحمد فى الأولى وفى الآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، والصلاة والسلام على نبى الهدى والرحمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبعد...

هكذا تدور الأيام، وهكذا تتوالى الشهور والأعوام - تأتى وتذهب - وتقبل وتدبر، وتحل وترحل - وهكذا أقبل رمضان ثم مضى.

أهل علينا بأيامه العابرة، ولياليه الأنيسة العامرة - جاء بالخيرات والبركات - ورحل يحمل الذنوب والسيئات - كان امتحانا عقدته السماء للمؤمنين، وكان اختباراً قدمته الشريعة للموحدين - ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر - وإنها والله لنعمة سابغة للمسلم أن يكون من الرابحين الفائزين، وإنها والله لمحنة قاسية له أن يكون فى رمضان من الخاسرين النادمين.

لقد كان رمضان منحة من السماء، وفرصة أعطانا الله فيها من الخير ما يجل عن الوصف والبيان، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : «أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى - **أما الأولى** فإنه إذا كانت أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا - **وأما الثانية** فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك - **وأما الثالثة** فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة، **وأما الرابعة** فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها : استعدى وتزينى لعبادى أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى - **وأما الخامسة** فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا.

فقال رجل من القوم : أهى ليلة القدر؟ فقال : لا - ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من عملهم وفوا أجورهم».

وإذا كنا قد فرغنا من عملنا فى رمضان فإن علينا أن نقف لنعرف هل نحن من الرابحين أم من الخاسرين؟

إن نظرة واعية للحديث الذى قرأناه الآن تؤكد لنا عدة أمور :

أولها : أن شهر رمضان شهر مغفرة ورحمة ورضوان - فيه ينظر الله إلى عباده المؤمنين نظرة لا يعذبهم بعدها أبدا - وفيه يأمر ملائكته أن تستغفر لهم ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا، ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك، وقهم عذاب الجحيم** ﴾«سورة غافر آيه ٧» - وفيه يطلب من جنته أن تتزين لهؤلاء العابدين الصائمين فقد آن لهم أن يستريحوا من تعبهم - وفى نهايته يكون العفو الإلهى الشامل.

وثانيها : أن العطايا الإلهية التى ذكرت فى الحديث الشريف شئ آخر غير ما تقدمه ليلة القدر بما فيها من أمن وسلام حتى مطلع الفجر.

وثالثها : أن ما يقدمه الله لعباده فى هذا الشهر إنما هو نتيجة عملهم وجزاء صيامهم - هو أجرهم الذى يستحقون، وسيوفى الله الصابرين أجرهم بغير حساب.

أيها الأخ الكريم :

لقد منحنا رمضان كل هذه النعم - فماذا بعد رمضان؟

هل نطمئن إلى هذا الخير، ونكتفى بهذا العطاء الربانى، ونقبل على الدنيا من جديد فننسى فى لذاتها حلاوة الطاعة وعذوبة اللقاء بالله؟

أظن أن بعض النفوس تمتلئ بهذا المعنى، أو تعيش اليوم فى ظلال هذا الشعور الخادع، وترجع إلى طبيعتها بعد هذه الرحلة الروحية، وتعود إلى مباهج الحياة من جديد - وما هكذا أراد الله لنا، ولا هكذا كانت الغاية من فرائض الإسلام وأركانه.

الإسلام يريد أن يربينا تربية متنوعة متجددة دائمة موصولة - يربى أبداننا بالصلاة، ويهذب شح نفوسنا بالزكاة، وينمى بالفريضتين قدراتنا الروحية والاجتماعية، ثم يزيد من التدريب البدنى والروحى، ومن التهذيب المالى فى فريضة الحج - وكل هذه

الفرائض ذات صفة إيجابية فاعلة - وهو أيضا يربى عزائمنا وينمى صلاتنا الاجتماعية، ويعالج مشكلاتنا الطبقية، وقضية الجوع والشبع، أو الغنى والفقر بفريضة سلبية فى مظهرها إيجابية فى مخبرها هى صيام شهر رمضان.

ومن رحمته سبحانه بعباده أنه جعل لكل فريضة وقتا معينا، وبيئة معينة، وسلوكا عمليا محددا، فإذا ما انقضى الوقت وتغيرت البيئة لم يعش المؤمن فى فراغ من الطاعة، ولم تنقطع صلته ببارئه.

إن الفرائض تتكرر وتتوالى حتى لا يحدث الفراغ الدينى، وحتى لا تنقطع صلة المؤمن بربه - ولقد مضت أيام الصيام فتغيرت بيئة العبادة، وانتهى زمنها - لكننا لا نجد أنفسنا فى انقطاع عن الله - ولا فى فراغ من الطاعة إنما هو النصب والتعب فى أركان أخرى.

إذا كان رمضان قد انتهى فليس معنى هذا أن يتخفف الناس من الطاعة، وأن يبتعدوا عن الله، فإن ألوان العبادات كثيرة، ووسائل القرب من الله عديدة.

ومن ناحية أخرى إذا كنا قد أدينا واجبنا الدينى فى شهر رمضان، ونجحنا فى الامتحان، فإننا نكون قد ربينا إرادتنا، وشحذنا عزائمنا، ونمينا قدراتنا، وخرجنا من الشهر الكريم ونحن أقدر على الاتصال بالله، وأنشط إلى العبادات الأخرى- وهذا وحده هو مقياس النجاح بعد شهر رمضان.

ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومن المسلمين جميعاً الصيام والقيام والاعتكاف وأن يجعل كل أعمالنا إيمانا واحتسابا وأن يثبت قلوبنا على الحق وعلى الصراط المستقيم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.